الفصل السادس

العمليات الاجتماعية

● التفاعل والعملية الاجتماعية :

لعل « التفاعل الاجتماعى Social Interaction » : » من أهم المصطلحات فى تعريف المجتمع ، ذلك أن أى نشاط اجتماعى منظم « ظاهرة اجتماعية » فى المجتمع عبارة عن نتاج تفاعل اجتماعى فيما بين الأفراد أو الجماعات . فعندما يكون المجتمع فى شكل جماعات من الناس فى تفاعل مستمر ، كل مع الآخر ، يصبح التفاعل من أهم المفاهيم الأساسية فى دراسة الحياة الاجتماعية ، وعلى ذلك فان حقيقة الحياة الاجتماعية ليست أكثر من الأسلوب الذى يتفاعل به الأفراد والجماعات .

ويمكن تعريف التفاعل الاجتماعى بأنه « مجموعة من الأفعال وردود الأفعال التى تصدر عن أفراد الجماعة فى موقف من المواقف الاجتماعية »(١) . والتفاعل الاجتماعى بهذه الصورة يؤدى الى تمايز تركيب الجماعة وتكوينها نظاميا ، بمعنى أن تفاعل الأفراد عمليا انما يؤدى الى ظهور الزعامات والقيادات داخل الجماعة ، ويؤدى كذلك بالتبعية الى اعادة تنظيم مجال الجماعة وفقا للقيادات التى ظهرت فيها . ويؤدى تفاعل الأفراد الى ظهور المهارات الفردية السلوكية والقدرات الاجتماعية التى يمكن أن تستفيد منها الجماعة ، وبالتالى يكون هناك تمايز وتنظيم فى تركيب الجماعة نتيجة لتفاعل أفرادها .

ويتحقق التفاعل الاجتماعى من خلال ثلاثة مواقف هى :

١ ـ **التفاعل وجها لوجه** (Face - to - Face) : أى بين فرد وآخر أو أفراد آخرين .

---

(١) زيدان عبد الباقى ، **مرجع سابق** ، ص ١٠٣

٢ ـ **التفاعل الداخلى** (Internal) : فالفرد يستطيع من الناحية النفسية أن يقيم داخل نفسه موقفا ما ، يؤثر فيه ويتأثر به ، أو يغير اتجاهه نحو نفسه أو نحو الآخرين .

٣ ـ **التفاعل عن طريق وسيط** (Madium) : وذلك مثل التفاعل بين المؤلف والقراء من خلال كتاب ، وبين القراء وأنفسهم حينما يتأثرون بالمؤلف . فان الوسيط هو « الكتاب » . وقد يزداد تأثير مثل هذا « الوسيط » ، فيتخذ شكل وسيلة اتصال جماهيرية (Mass Media) كالاذاعة والتليفزيون والصحافة والكتب والمطبوعات .. الخ . ولهذا فان التفاعل الذى يتحقق من خلال وسائل الاتصال الجماهيرية يمكن أن يؤثر على تفكير العديد من الناس ووجهات نظرهم من خلال تفاعلهم بعضهم مع البعض الآخر ، ولهذا يوصف « الاتصال الجماهيرى » بانه من أعظم الظواهر الاجتماعية فى العصر الحديث .

تلك هى المواقف التى يتحقق فيها التفاعل الاجتماعى .. أما الأشكال أو العمليات الاجتماعية التى تتحقق من خلال التفاعل الاجتماعى ، فانه يمكن تناولها على الوجه التالى : ان العملية الاجتماعية عبارة عن « تفاعل » بين شخصين أو اكثر من خلال موقف اجتماعى مثل « الدراسة » ذلك الموقف الذى يدفع طالبين الى « التعاون » فى الاستذكار والدراسة ، أو الى « التنافس » أملا فى أن يفوز أحدهما بالمركز الأول بين الناجحين . وقد يتحول هذا التنافس بينهما الى « صراع » ، وعندما يشتد هذا الصراع بينهما ، فقد يتدخل شخص ـ زميل ثالث لهما ـ ويحاول « تلطيف الجو » بينهما ، فيتحول الصراع الى « تكيف اجتماعى » ، ثم ينتهى الأمر بأن « يتمثل » كل منهما مبادىء الطرف الآخر وأهدافه ، وبالتالى يصبح « الاتصال » بينهما ايجابيا . وترتيبا على ذلك يمكن القول ان « الموقف الاجتماعى » يمكن أن يؤدى الى عمليات اجتماعية متعددة ، تعتبر من أهم وسائل التغير الاجتماعى فى المجتمع .

ان طبيعة التفاعل الاجتماعى تحدد نوعية العمليات الاجتماعية ، وبالتالى تحدد الدور الذى يؤديه داخل الجماعة . وبذلك يصل بعض

الأفراد الى بؤرة التفاعل الاجتماعى أو الى مراكز قريبة منها ، ويصبحون هدفا للاستجابات الاجتماعية لبقية أفراد الجماعة ، سواء أكانت هذه الاستجابات موجبة أم سالبة . وقد نجد أحد أفراد الجماعة ـ أو أكثر ـ قد رضى العيش على هامش الحياة الاجتماعية للجماعة ، وأصبح بعيدا عن بؤرة التفاعل للجماعة ، ويوصف مثل هذا الفرد بأنه « هامشى Marginal » أو « منعزل Isolated » ، وقد تضطر الجماعة ، ازاء عدم تفاعله معها ، الى عزله فيوصف بأنه « معزول » . وقد يؤدى موقف مثل هذه الجماعة الى أن يشعر بعض أفرادها بالأمن والطمأنينة فى علاقاتهم بالآخرين ، كما قد يؤدى الى معاناة الآخرين من القلق والاضطراب نتيجة للرفض الاجتماعى والنبذ والاحباط من باقى أفراد الجماعة .. واذا حللنا العمليات الاجتماعية من زاوية التنبيهات المتبادلة وكذلك الاستجابات بين الأفراد والجماعات ، نجد أن الأشكال الرئيسية للتفاعل هى : التعارض (ويشمل التنافس والصراع) ، والتعاون ، أما « الانعزال Isolation » فيمثل أدنى درجة ـ درجة الصفر ـ فى التفاعل الاجتماعى .

ـ ويتميز التفاعل الاجتماعى بعدة خصائص يمكن سردها فيما يأتى :

١ ـ التفاعل الاجتماعى يعتبر وسيلة الاتصال الأساسية بين أفراد الجماعة ، اذ عن طريقه يتم التفاهم بين الأفراد فى سبيل حركة الجماعة .

٢ ـ يتميز التفاعل بين الأفراد « بالأداء والانجاز Performance » فهو العنصر الأول من عناصر التفاعل . فأداء الفرد فى الموقف الاجتماعى هو الذى يسبب الأداء الآخر (رد الفعل) ، وبالتالى ينشأ التفاعل .

٣ ـ يتميز التفاعل الاجتماعى الذى ينشأ بين أفراد المجموعة « بالتوقع Expectation » ، لأن الفرد عندما يقوم بأداء معين فى محيط الجماعة فان لهذا الفرد عدة توقعات معينة .. فقد يتوقع الاستجابة أو الرفض من أعضاء الجماعة أو الثواب أو العقاب . ويكون توقعه قائما على خبرات سابقة أو القياس بالنسبة لأحداث مشابهة .

٤ ـ يقود التفاعل بين أعضاء الجماعة الى تمايز تركيب الجماعة وتكوينها تكوينا نظاميا . فتفاعل الأفراد عمليا أو لفظيا انما يؤدى الى

ظهور الزعامات والقيادات داخل الجماعة ، ويؤدى ـ تبعا لذلك ـ الى اعادة تنظيم مجال الجماعة تبعا للقيادات التى ظهرت فيها . ويؤدى تفاعل الأفراد كذلك الى ظهور المهارات الفردية السلوكية والقدرات الاجتماعية التى يمكن ان تستفيد بها الجماعة ، وبالتالى يكون هناك تمايز وتنظيم فى تركيب الجماعة نتيجة لتفاعل افرادها .

٥ ـ من شأن التفاعل الاجتماعى ان يعطى الجماعة الصفة الكلية ، بمعنى ان تصبح الجماعة اكبر من مجموع افرادها ، اذ يدخل فى الحساب نوع العلاقات السائدة وكميتها ودرجة شدة هذه العلاقات ممثلة فى معدل التفاعل . والواقع ان موضوع التفاعل وعلاقته بكلية الجماعة يثار حوله كثير من النقاش والجدل .. فهناك بعض الآراء تعتبر ان مجرد وجود مجموعة من الأفراد مع بعضهم البعض يمكن ان يسمى جماعة ، وهناك رأى آخر تؤيده البحوث وهو ان الشرط الأساسى فى قيام الجماعة هو « التفاعل الاجتماعى » الذى يعتبر مظهر الحياة داخل الجماعة .

٦ ـ التفاعل الاجتماعى داخل الجماعة يحدد السلوك الفردى للأشخاص ، كما يساعد على تمييز المحصلة العامة لاستجابات الأفراد فى المواقف الاجتماعية ، وبالتالى فان التفاعل الاجتماعى يحدد نمط السلوك لكل فرد فى الجماعة . وبالاضافة الى ذلك ، فانه يساعد على اتاحة الفرصة للأفراد كى يتميز كل منهم بشخصيته وفرديته بالنسبة للآخرين .

٧ ـ التفاعل الاجتماعى بين الأفراد يصدر نتيجة لاختلال تنظيم الطاقة فى المجال الاجتماعى للجماعة .. فان توتر هذا المجال هو أساس سلوك الأفراد واستجابتهم للأحداث القائمة التى يواجهونها . وكلما تقاربت القوى فى المجال ، قلت فروق الجهد وبالتالى اقترب التفاعل الاجتماعى من حالة الركود والسكون . وبمعنى آخر ، فان التفاعل الاجتماعى يكون نشطا كلما اختل توازن المجال الاجتماعى للجماعة(٢)

---

(٢) سعد عبد الرحمن ، **أسس القياس النفسى الاجتماعى** . القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٧ ، ص ٧ ـ ١٠

تلك هى أهم الخصائص التى تميز التفاعل الاجتماعى الذى يمكن اعتباره الأساس الأول فى نشأة العلاقات البشرية وتطورها فى اى جماعة من الجماعات ٠

ولما كانت القيم الاجتماعية تمثل المراكز النشطة فى النسق الاجتماعى النفسى لكل فرد ـ والذى يستقبل الأحداث بصورها المختلفة ، ثم يقوم بعملية انتاج السلوك الذى يؤدى بدوره الى تكوين العمليات الاجتماعية فى الجماعات ـ فان تلك القيم هى التى توجه سلوك الفرد فى حياته اليومية ٠٠ وتنشأ القيمة الاجتماعية فى ابسط صورها فى مواقف المفاضلة والاختيار ، حيث يتحتم على الفرد ان يختار أحد حلين بقدر ما تسمح به استعداداته وامكانياته ٠ وكلما ازدادت خبرة الفرد بمواقف المفاضلة ونمت ، زاد رصيده من القيم الاجتماعية التى تصقلها الأيام ، الى ان تتحول الى نسق يستطيع عن طريقه اصدار الأحكام على الأشياء والأحداث ٠

وتعرف « القيم الاجتماعية Social Values »بأنها : « مجموعة من الاتجاهات الاجتماعية التى تكون فيما بينها نسقا شبه مقنن يستخدمه الفرد فى قياس المواقف الاجتماعية وتقديرها »(٣) ٠ وبمقتضى هذا التعريف ، فان القيم الاجتماعية تتطور مع الأيام الى وحدات معيارية فى الضمير الاجتماعى لدى الانسان ، واثناء هذا التطور والنمو تتخذ القيم الاجتماعية صفة الثبات النسبى ٠ ومن هنا تصبح القيم الاجتماعية ركنا أساسيا فى تكوين العمليات الاجتماعية ، وتحديد اشكالها (ايجابية او سلبية) ، ذلك ان القيمة هى التى تنتج السلوك ، والسلوك (التفاعل الاجتماعى) هو الذى يؤدى الى تكوين شبكة من العمليات الاجتماعية ، وهذه الأخيرة تؤثر مرة أخرى فى تكوين القيم وتطويرها ٠

وهناك أساس آخر لتكوين العمليات الاجتماعية ، الا وهو « قنوات الاتصال » بين أفراد الجماعة ، وتقوم قنوات الاتصال هذه بتوصيل التفاعل من نقطة الى أخرى فى مجال الجهد الاجتماعى ، لربط تلك

---

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٤

النقاط بعضها بالبعض الآخر لتكوين شبكة من العمليات الاجتماعية فى الجماعة . واللغة ـ سواء أكانت منطوقة أو رمزية ، أو مكتوبة ، أو وسيلة سمعية أو بصرية ـ هى فى نفس الوقت التى تحدد نوع العمليات الاجتماعية وطبيعتها فى أى جماعة ، وعن طريق قنوات الاتصال هذه يمكن احداث الضغوط الاجتماعية المختلفة التى تؤثر على القيم السائدة ، وبالتالى يتأثر السلوك البشرى والتفاعل الاجتماعى ، فينتج نوع من العمليات الاجتماعية يتناسب مع الوسائل والضغوط . ومن هنا فان القيم تعتمد الى حد ما على الضغوط الاجتماعية التى تحدث عن طريق وسائل الاتصال الجمعى والفردى .

ونتيجة للأهمية الواضحة للعمليات الاجتماعية « كعمليات مترابطة Associative Processes » تؤدى الى التماسك والترابط فى المجتمع مثل : التعاون ، والتنافس ، والزواج .. الخ ، أو « كعمليات مفككة Dissociative Processes » تؤدى الى الاضطراب والفوضى مثل : الصراع ، والكراهية ، والطلاق .. الخ .. فقد كان لمثل هذه العمليات أهمية واضحة على النحو التالى :

أولا ـ التنشئة الاجتماعية (التطبيع الاجتماعى Socialization) :

الطفل الانسانى أكثر الكائنات عجزا وأشدها ضعفا عند ولادته ؛ هذا اذا نظرنا الى قدراته الفعلية فى مواجهة الحياة . ولكن هذا العجز والضعف تقابله حساسية كبيرة للمؤثرات الخارجية ، ومرونة كبيرة تمكنه من اكتساب أنماط سلوكية متعددة متباينة بحسب المواقف العديدة وخبرات الحياة المتنوعة التى يمر بها .. والطفل وحدة بيولوجية تكون جزءا متكاملا مع وحدة أكبر هى وحدة البيئة . وأهم جوانب البيئة فى حياة الانسان وفى تكوين شخصيته هو الجانب الاجتماعى ، ويرجع هذا الى عجز الوليد الانسانى ـ كما ذكرنا ـ عند ولادته ولفترة طويلة نسبيا من حياته هى مرحلة الطفولة ، واعتماده فى مبدأ الأمر اعتمادا كليا على الكبار فى تربيته وتعليمه وتوجيه سلوكه تدريجيا ، كى يعنى بنفسه ، ويتشرب عادات مجتمعه وتقاليده ، ويتكيف لثقافته . ونستطيع أن نميز

عملية التطبيع الاجتماعى/التنشئة الاجتماعية بسمات ومعالم معينة نوجزها فيما يلى(٤) :

١ ـ أن سلوك الفرد يرتبط تدريجيا بالمعانى التى تتكون عنده عن المواقف التى يتفاعل فيها .

٢ ـ تتحدد هـذه المعانى بالخبرات السـابقة التى مر بها الفرد وعلاقة تلك الخبرات بالمواقف الراهنة .

٣ ـ أن الطفل يولد بين جماعة قد حددت فعلا معانى معظم المواقف العـامة التى تواجهه ، وكونت لنفسها قواعد مناسـبة للسلوك ازاءها . ويتأثر الطفل بهذه المعانى منـذ ولادته وتصاغ شخصيته فى مراحلهـا الأولى بحسب هـذه المعـانى التى تصـبح جزءا من كيانه الشـخصى بصـفة عامة .

ويمكن أن نميز مراحل ثلاث يمر بهـا الطفل فى عمليـة التطبيع الاجتماعى(٥) :

ـ المرحلة الأولى :

يتعلم الطفل فى المرحلة الأولى من مراحل التنشئة الاجتماعية أن يتكيف لمطالب جسمه وحاجاته البيولوجية والظروف البيئية المحيطة . وهو مضطر فى هـذه المرحلة الى قبول المعـانى التى حددها الكبـار للمواقف التى يمر بها كما يظهر ذلك فى معاملتهم له ، ومعنى هـذا أن الطفل يكيف نفسه لسلوك الكبـار . ولكن بالرغم من أنه لا يقاوم سلوك الكبـار فى هـذه المرحلة مقاومة ذات بال ، فان هـذا لا يعنى أن الطفل سلبى تماما فى هـذه المرحلة .. فالطفل يستجيب للمواقف المختلفة بكل حواسه ، وتتحدد بالتدريج بعض أنماطه السلوكية نتيجة لمـا يترتب على

---

(٤) نجيب اسكندر ابراهيم وآخرون ، **مرجع سابق** ، ص١٤٢ ـ ١٤٣
(٥) **المرجع السابق** ، ص ١٤٣ ـ ١٥٨

استجاباته من نتائج ، فيتعلم بالتدريج أن يستبعد بعض الأنماط السلوكية التى لا تؤدى الى نتيجة أو التى لا تؤدى الى اشباع حاجاته البيولوجية .

ويتعود الطفل بالتدريج أن يركز نشاطه نحو جوانب محورية فى المواقف التى يتفاعل معها ، ويتحدد سلوكه ويتركز نحوها ، وبذا يمر سلوكه فى عمليات تمايز (Differentiation) مستمرة . ويحدث هذا نتيجة عملية سلوك ادراكى نحو الجوانب المحورية فى المواقف التى يمر بها ، وتصبح هذه الجوانب بمثابة اشارات أو علامات يستجيب لها فى الموقف الكلى ، ويكرر استجابته لها بتكرار ظهورها . ويمكن القول انه بهذا الشكل يكون الطفل اتجاهات نحو الأشياء المحيطة به ، وتبدأ شخصيته فى التكوين والنمو .

ولكن عملية التطبيع الاجتماعى / التنشئة الاجتماعية لا تسير دائما سيرا هادئا منتظما ، فان الكبار لا يستطيعون دائما مراعاة التواصل (الاتصال) فى تمايز سلوك الطفل .. فاقتراب شخص كبير من الطفل قد يكون علامة على رفعه وحمله ، ولكن هذا قد لا يحدث . وقد يؤدى الى استجابات كثيرة منوعة يقوم بها الطفل مثل الصراخ أو الرفص برجليه أو غير ذلك ، وقد تنجح بعض هذه الاستجابات فى تحقيق أغراض الطفل وقد لا تنجح . ومعنى هذا أن الطفل يعانى صراعا فى استجاباته وانماط سلوكه باستمرار ، وذلك بتغيير دلالات « العلامات » التى يستجيب لها .

ولكن حدة الصراع الذى يعانيه الطفل قد يبلغ مبلغا كبيرا ، وذلك عندما تكون عاداته قد تميزت واستقرت وقويت ، وبخاصة عندما تكون مرتبطة باشباع حاجاته البيولوجية ، ثم تتغير « العلامات » التى يستجيب لها الطفل تغيرا مفاجئا .. وهذا ما يحدث عند الفطام المفاجىء ، وبخاصة عندما تضع الأم على الثدى مادة مرة المذاق ـ مثل الصبار ـ بقصد ابعاد الطفل عنه . ونستطيع أن ندرك ما يتعرض له الطفل من صراع اليم .. فبعد أن كان ثدى الأم « علامة » على الرضاعة والاشباع والحضانة والراحة والارتباط بجسم الأم ، وبعد أن كانت توقعات الطفل

مرتبطة بهذه المعانى ، اذ بالموقف يتغير ، و « العلامة » تتغير وتصاب توقعات الطفل بالاحباط ، وتصبح الما وحرمانا وبعدا عن الأم وعزلة عن مصدر الدفء والحضانة . فالطفل يقبل على الثدى ولكنه يحرم منه أو يصاب بألم واحباط قاسيين . ولذلك فان المتخصصين فى دراسة الطفولة والنمو النفسى ينصحون الأمهات بفطام الأطفال تدريجيا وبشكل يسمح للطفل بتعديل سلوكه ، دون التعرض لآلام الصراع الحاد الناتج عن الفطام المفاجىء .

واذا تعددت مواقف الصراع وزادت حدتها ، فان شخصية الطفل تعانى من ذلك ، وتبقى آثار الصراع وتصاحب شخصيته عندما يكبر ، وتظهر فى سلوكه . وقد أوضحت الدراسات الاكلينيكية أن كثيرا من الانحرافات التى تظهر فى الكبر ترجع الى ما يتعرض له الطفل من صراع حاد فى مرحلة الطفولة . وقد يحدث هذا نتيجة لتذبذب الكبار فى معاملة الطفل بالنسبة للموقف الواحد مما يعيق الطفل عن تكوين توقعات مستمرة بالنسبة « للعلامات » التى يستجيب لها ، فيتسم سلوكه بالتردد حيث يستدعى الموقف الواحد استجابات متباينة أو متناقضة فى نفس الوقت .

ومما يزيد المسألة سوءا أن الطفل لا يكون قد تعلم بعد التعبير عن نفسه لغويا ، ولهذا يعجز عن التفاهم مع الكبار أو توصيل رغباته اليهم . كما يعجز عن التفكير فى مشكلاته لافتقاره الى اللغة التى هى أداة التفكير ، ولذلك يكون سلوكه أو انحرافه فى الكبر لا شعوريا .

ـ المرحلة الثانية :

هذه المرحلة متصلة بالأولى ومتداخلة معها .. وأهم ما يميزها نمو الطفل الحركى، واكتسابه القدرة على الانتقال من مكان الى آخر مستقلا ـ نسبيا ـ عن الكبار . واستقلال الطفل فى حركته وتنقلاته يتطور تدريجيا (الحبو ـ الوقوف ـ السير البطىء المتعثر ـ السير بثبات ـ ثم الجرى) ، ويمكنه نموه فى هذا الاتجاه من التعامل مع الأشياء بدرجة أكبر من

الحرية وبعيدا ـ الى درجة ما ـ عن رقابة الكبار · فالطفل فى المرحلة السابقة قد تعلم مثلا أن يمسك بالأشياء التى توجد فى متناول يده أو تقدم له ويضعها فى فمه أو يأكلها أو يضرب بها الأرض ، وقد يسمع لها صوتا يستجيب له بأن يكرر سلوكه هذا ، ويعتاد تكرار مثل هذا السلوك · ويساعده فى هذا أن الكبار من حوله ييسرون له هذا العمل ويطربون له · أى أن الطفل يكتشف بالتدريج أنه قادر على أن يحدث اثرا واضحا فى البيئة المادية والاجتماعية المحيطة ، وقلما يمنعه الكبار عن هذا السلوك خاصة أنهم لا يقدمون اليه من الأشياء الا ما يعتقدون ألا خطر منها ولا ضرر · ولكنه بعد أن يصل فى نموه الى درجة تمكنه من الاستقلال النسبى عن الكبار فى التنقل بالحبو أو المشى مثلا ، فانه قد يمسك شيئا ما يجده على الأرض ويدخله فى فمه ، فاذا شاهده أحد الكبار منعه من ذلك وربما عاقبه بطريقة أو بأخرى اذا كرر هذا العمل وذلك لوقايته مما قد يتعرض له من اضرار ·

ومعنى هذا أن كثيرا من عادات الأطفال وأفعالهم التلقائية فى هذه المرحلة تجد مقاومة من الكبار الذين يتدخلون لمنعه ، ويترتب على هذا حدوث الصراع بين الطفل وبين الكبار من حوله · وقد يتحول هذا الى صراع فى شخصية الطفل نتيجة للتناقض الذى يحدث فى معانى الأشياء على ضوء خبراته السابقة والمعانى التى ارتبطت بها الأشياء فى المرحلة الأولى من تطبيعه الاجتماعى ، أى حول العلامات التى كان يستجيب لها فى الماضى والمعانى الجديدة (العلامات الجديدة) التى يفرضها الكبار · وتتعدل معانى الأشياء بتغير توقعاته ، وتتمايز الأشياء والعلامات التى تحدد استجابات الطفل مما يؤدى الى تعديل سلوكه بحسب قيم الكبار وعاداتهم والمعانى التى حددوها للمواقف المختلفة التى يواجهها الطفل فى حياته اليومية ·· ذلك أن الكبار فى البيت يعملون على أن يطبعوا الطفل وينشئوه بحسب قيمهم واتجاهاتهم ووفقا لآرائهم ومعتقداتهم فى أفضل الطرق لتربيته ·

وهكذا يمر الطفل فى هذه المرحلة بمواقف متعددة تسبب له صراعا

يتفاوت خفة وشدة بما يؤدى الى تعديل معانى المواقف والعلامات التى يستجيب لها بناء على ما يترتب على سلوكه من عواقب . ويتعدل سلوكه بشكل أو بآخر ليتوافق مع حياته فى المرحلة الجديدة ، وتكتسب مواقف حياته معان جديدة ـ تختلف بطبيعة الحال من طفل الى آخر بحسب ظروف الأسرة وعاداتها وأنماط سلوكها . ولكن الصراع قد يشتد نتيجة سوء معاملة الآباء ، أو عدم وعيهم بأساليب التربية ، أو بسبب متاعبهم ومشكلاتهم النفسية مما يسىء الى شخصية الطفل . وقد يتذبذب الآباء فى معاملة الطفل بالنسبة للمواقف الواحدة أو المتشابهة ، فيعجز الطفل عن تكوين معان مستقرة للسلوك . وقد ينجم عن هذا التذبذب فى معاملة الطفل انحرافات شديدة فى سلوكه ، كما أوضحت الدراسات الاكلينيكية . ومما يزيد من حدة الموقف ، أن الطفل فى هذه المرحلة ـ كما فى المرحلة السابقة ـ لا يكون قد تعلم استخدام اللغة بصورة تمكنه من التعبير عن نفسه ، ولهذا فقد تصبح دوافع سلوكه المنحرف مستقبلا لا شعورية .

ـ المرحلة الثالثة :

تمثل هذه المرحلة امتدادا للمرحلة السابقة وهى متداخلة معها ، وفيها يكتسب الطفل اتجاهات الكبار نحو المواقف الهامة فى حياته . فالطفل لا يستطيع أن يتوقع تصرفات الكبار حيال سلوكه ـ كالأم مثلا ـ ما لم تصبح اتجاهاتها جزءا من شخصيته ، أى أن معانى المواقف و « العلامات » التى يواجهها تتضمن المعانى التى ترتبط بتصرفات الأم حياله بالنسبة لسلوكه فى تلك المواقف أو بازاء تلك « العلامات » . وبالتدريج يعتاد الطفل أن يسلك بشكل عام فى غيبة الأم كما يسلك فى وجودها . ومفتاح هذه العملية هو « اللغة » . فالكلمات رموز أو « علامات » تشير الى أشياء فى مواقف معينة وتحمل معانى تلك الأشياء فى تلك المواقف . فاللغة سلوك لفظى يرتبط بمواقف واقعية يواجهها الطفل فى حياته اليومية ويسلك نحوها سلوكا معينا . ويمكن باستخدام اللغة نقل ما تحمله الألفاظ من معان من موقف الى آخر ، أى يمكن تعميمها وتعميم سلوك الطفل نحو المواقف المتشابهة .

ومعنى هـذا أن الكبار يستطيعون باستخدام السلوك اللفظى (اللغـة) أن ينقلوا الى الطفل معانى المواقف المختلفة التى يواجهها فى حياته ، وتصبح اللغـة ذات أهمية كبرى وأثر بالغ فى توجيه الطفل وفى عملية تطبيعه الاجتماعى • فاستخدام الكبار للغـة ذات معان حسنة أو سيئة عند الحديث عن أفراد معينين أو نحو اتجاه معين قد تكون عند الطفل اتجاهات ايجابية أو سلبية نحو أولئك الأفراد أو تلك الاتجاهات والمذاهب • وينسى الطفل فى غالب الأحيان الظروف التى اكتسب فيها تلك الاتجاهات ، ومع ذلك فان سلوكه يظل متأثرا بها ومعبرا عنها ، أى أن هـذه الاتجاهات قد تكون ذات دوافع شعورية أو لا شعورية • وبمثل هـذه الطريقة يتعلم الطفل قيم الأسرة واتجاهاتها ومعاييرها الخلقية والاجتماعية • كما يمكن أن ينمى الآباء على هـذا النحو اتجاهات الأطفال نحو أحداث مستقبلة بعيدة ، مثل اختيـار نوع من التعليم أو المهنـة أو غير ذلك •

وتعلم الطفل اللغـة هو الوسيلة التى تساعده على تكوين « الذات Self » ، فاللغة هى الأداة الأساسية التى تساعد الطفل على اكتساب اتجاهات الآخرين ، وبخاصة الكبار ، وذلك بأن تتضمن « العلامات » التى يستجيب لها الطفل فى المواقف المختلفة سلوك الأشخاص الآخرين كالوالدين أو الاخوة ، وتصبح الكلمات التى يتعلمها الطفل بمثابة رموز أو « علامات » للسلوك تتضمن اتجاهات الآخرين عن الكبار خاصـة • ولكن الطفل لا يكتسب تلك الاتجاهات بشكل منظم الا عن طريق السلوك الواقعى فى مواقف حقيقية أو « وهمية Phantasy » •• فمن الملاحظ أن الطفل أثناء لعبه كثيرا ما يتقمص شخصية الأم أو الأب أو الأخ أو الأخت أو المعلم أو البائع المتجول أو رجل البوليس أو غيرهم من الأشـخاص الذين كان له احتكاك بهم أو تأثر بهم ويقوم بأدوارهم الاجتماعية فى لعبه الوهمى • وهو فى نشاطه هـذا يتكلم ويسلك بالشكل الذى خبره منهم ، وبهـذا الأسلوب فان الطفل يستدعى فى سلوكه وعند اللعب الرموز والعلامات التى تعبر عن اتجاهات الآخرين •

ونتيجة لهذه العملية قد يصبح كثير من الاتجاهات التى كونها الطفل شديدة التمكن من شخصيته ، ويتحدد سلوكه وينتظم تبعا لها • وينسى الطفل أنها اتجاهات أفراد آخرين ، وعلى هـذا تصبح اتجاهاته الخاصة ، فبدلا من أن يفكر فيما يتوقعه الآخرون منه ، فانه يتوقع من نفسه أن يصدر عنه السلوك المناسب فى المواقف التى يواجهها • وقد تصبح هـذه الأنماط السلوكية من القوة بحيث تبدو كأنها عادات « تلقائية » لا تتطلب من الطفل أن يفكر فى توقعات الغير منه •• أما فى المواقف التى لا يكون سلوك الطفل قد تحدد ازاءها بدرجة كافية ، أو عندما يتضمن الموقف بعض الجوانب الجـديدة ، فان الطفـل يصـبح « واعيـا بذاته Self - Conscious » ، حيث يضطر الى تفهم اتجاهات الآخرين من خلال أنماط سلوكهم ، وتوقعاتهم منه ، وأن يحدد معنى الموقف ـ فى ضوء خبراته المـاضية ـ قبل أن يقوم بدوره فى الموقف الجديد •

مما تقـدم نستنتج أن الذات والشـخصية نتاج اجتماعى ، وأنهما يتشـكلان أصـلا ، وفى المقام الأول ، نتيجـة تفاعل الفرد فى البيئـة الاجتماعية الأولى التى ينشأ فيها الطفل وينمو ، ونعنى بذلك «الأسرة» • ولذلك نستطيع أن نرجع السمات الأساسية أو المعالم الأساسية للسـلوك الاجتماعى للفرد الى المرحلة الأولى من حياته ، والى علاقاته بأفراد أسرته ، واتجاهات هؤلاء الأفراد وأنماط سلوكهم •

ويحدد بعض الكتاب الأهداف الرئيسية لعملية التنشئة الاجتماعية فى أن يكتسب الفرد المعرفة والقدرة والرغبة فى النمو ويستوعبها تدريجيا من خلال التزامه بالقيم والمبادىء والمعايير التى تنطوى عليها الثقـافة السائدة فى المجتمع • ويتحقق ذلك من خلال عدة مراحل هى(٦) :

١ ـ المرحلة الانفرادية العشوائية الوقتية :

(Stage of Erratic and Ephemeral Individualism)

وهى تستمر طوال السنتين الأولى والثانية من عمر الطفل ، حيث

---

(٦) O. Brim, and S. Wheelers ; Socialization After Childhood. (N. Y. Wiley, 1966), p. 25.

يحاول خلالها أن يفهم مظاهر الحياة ويعتبرها رموزا تمثل معانى معينة ، وان كان لا يستطيع التمييز بين الأشياء ، ويتعلم كيف يتحكم فى طلب الأشياء التى تمثل مصدر غذائه .

٢ ـ مرحلة التمركز حول الذات (Ego - Centric Stage) :

وتستمر من أواخر السنة الثانية الى الخامسة من عمر الطفل ، حيث يقوم فيها بالتشبه بالآخرين وتقليدهم ، بحيث يتحقق له من خلال ذلك الشعور بالسعادة وبالاستحسان الاجتماعى .

٣ ـ مرحلة التعاون الأولى (Stage of Incipient Cooperation) :

وتستمر ما بين السادسة والثامنة من عمر الطفل ، وفيها يبدأ فى اتباع القواعد السلوكية الاجتماعية فى مواقف محددة .

٤ ـ مرحلة تبنى الأنماط السلوكية الاجتماعية :

(Codification of Rules)

وهى المرحلة الأخيرة من مراحل التنشئة الاجتماعية ، وفيها يشرع الطفل فى اعتناق القواعد السلوكية والالتزام بها ، واعتبارها جزءا من شخصيته ، كما يدرك أن هذه القواعد لها وجودها الخارجى الذى يفرض نفسه على أفراد المجتمع ، باعتبارها ظاهرة اجتماعية .

* * *

● **التنشئة الاجتماعية فى الاسلام :**

لقد ضرب الرسول الكريم ﷺ أروع الأمثلة فى مجال التنشئة الاجتماعية ، كما بذل من صفاته الرائعة الكثير حتى يقف الناس على كل زوايا معانى الرسالة التى جاء بها ﷺ .. فقد كان خلقه القرآن الكريم ، كما كانت سجاياه الرحمة ، فهو الرحمة المهداة الى العالمين ، وصدق الله العظيم اذ يقول : « **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** » (الأنبياء : ١٠٧) . ولقد كان ﷺ يعرف للعلاقة الأبوية مكانتها التربوية وأثرها فى تنشئة الأطفال . وقد اشتهر بالحدب والعطف على الأطفال ، فقد روى

انه ﷺ مر ببيت فاطمة فسمع حسينا يبكى فقال لفاطمة : « الا تعلمين ان بكاءه يؤذينى » .

وقد عنى رسول الله ﷺ بالتنشئة الاجتماعية السليمة للشباب ، فكان يتعهده بالموعظة وينقنه المبادىء الصحيحة والأخلاق الكريمة ، تقديرا منه لرسالته وانه عماد الأمة وقوتها . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « يا معشر الشباب .. من استطاع منكم الباءة (أى ما يستلزمه الزواج) فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » (أى خصاء) (٧) .
(متفق عليه)

* * *

● **الحقوق التربوية فى الاسلام :**

المقصود بالتربية اعداد الطفل بدنيا وعقليا وروحيا حتى يكون عضوا نافعا لنفسه ولأمته . ولقد اهتم الامام الغزالى بهذه الحقوق ، وأوجب أن تكون التربية من أول مراحل النمو والنشأة على النحو التالى(٨) :

الاعداد البدنى : تهيئة الطفل ليكون سليم الجسم قوى البنية ، قادرا على مواجهة الصعاب التى تعترضه ، بعيدا عن الأمراض والعلل التى تشل حركته وتعطل نشأته .

الاعداد العقلى : أن يهيا الطفل كى يكون سليم التفكير ، قادرا على النظر والتأمل ، يستطيع ان يفهم البيئة التى تحيط به ، ويحسن الحكم على الأشياء ، ويمكنه أن ينتفع بتجاربه وتجارب الآخرين .

الاعداد الروحى : بمعنى أن يكون الطفل جياش العواطف ، يتبسط للخير ويفرح به ويحرص عليه ، وينقبض عن الشر ويضيق به ويفر منه .

ـ وسائل الاعداد البدنى :

ان الوسائل التى وضعها الاسلام لجعل الطفل صحيح البدن ، بعيدا عن الأسقام والعلل ، تتخلص فى الآتى :

---

(٧) سعاد ابراهيم صالح ، **علاقة الآباء بالأبناء فى الشريعة الاسلامية** . جدة : تهامة ، ١٩٨١ ، ص ٥٦ ـ ٦٤

(٨) أبو حامد الغزالى ، **احياء علوم الدين** ، جـ ٣ ، ص ٧٢ ـ ٧٤

١ ـ الحرص على النظافة فى البدن والثـــوب والمكان ، اذ ان النظافة ركن من اركان الصحة ودعامة من دعاماتها . وابلغ دليل على ذلك ان العبادات الاسـلامية تقوم على الطهارة والنظافة ، وتجعـــل الطهارة شرطا لصحة الدخول فى العبادة .

٢ ـ ان يعود الطفل الأكل من الطيبات التى تغـذى البـدن وتقويه ، مع البعد عن الاسراف الذى يضر الجسـم ويعرضه للأمراض ، لقوله تعالى :

« .. وكلوا واشربوا ولا تسرفوا .. » (الأعراف : ٣١)

ويتعلم الطفل آداب الطعام .. فلا يأخـذ الطعام الا بيمينه ، وان يبداه « بسم الله » ، وان يأكل مما يليه ، وان لا يبادر الى الطعام قبل غيره ، وان لا يحدق النظر به ولا الى من يأكل ، وان لا يسرع فى الأكل ، وان يجيـد المضـغ ، ولا يلطخ يده او ثوبه .

٣ ـ ان يحبب اليه ممارسة الألعاب الرياضية مثل السباحة والرماية والمصـارعة وركوب الخيل ، وان يمنع عن النوم نهارا لانه يورث الكسل ، ويعود المشى والحركة والرياضة فى بعض النهار .

ـ وسـائل الاعداد العقلى :

الاسـلام دين الفطرة ، فهو يحترم الطاقات البشرية كلها ، لأنها هبة الله المنعم الوهاب ، ولكنه يعطيها اقدارها الصحيحة ، قال تعالى :

« قل هو الذى انشـأكم وجعل لكم السـمع والأبصـار والأفئـدة ، قليـلا ما تشـكرون » . (الملك : ٢٣)

ويمكن تلخيص هذا الاعداد باتخاذ الوسائل الآتية :

١ ـ القراءة والكتابة والتعليم : يقول الله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسـان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسـان ما لم يعلم » . (العلق : ١ ـ ٥)

ويرشـدنا الامام الغزالى الى تدعيم هـذه الناحية التربوية العقليـة

بقـوله : « ينبغى حفظ الصبيان عن رداءة الأخلاق من كذب وحسـد ونميمة ، وانما يحفظ عن جميـع ذلك بحسـن التأديب . ثم يشـغل فى المكتب فيتعلم القرآن واحاديث الأخبار وحكايات الأبرار واحوالهم لينغرس فى نفســه حب الصـالحين . وينبغى ان يؤذن له بعـد الانصراف من الكتاب ان يلعب لعبـا جميلا يسـتريح اليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب من اللعب . فان منع الصبى من اللعب وارهاقه فى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليـه العيش حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منـه راســا . وينبغى ان يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه ومن هو اكبر منه سـنا »(٩) .

٢ ـ **التأمل والتفكير** : وهما ضروريان لتنمية العقل واستقلاله بالفهم والادراك ، والقرآن الكريم حافل بالآيات التى تدعو الانسـان الى التأمل وايقاظ النفس واستشعارها لعظمـة الخالق ـ سـبحانه ـ وقدرته ، لقوله تعالى : « **ان فى خلق السـموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السـماء من ماء فاحيا به الأرض بعـد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السـماء والأرض لآيات لقوم يعقلون** » .

(البقرة : ١٦٤)

ـ **وسـائل الاعداد الروحى** :

وجه الاسـلام عناية خاصـة لتربية الروح لأنها فى نظره مركز الكيان البشرى ونقطة ارتكازه والمهيمن الأكبر على حياة الانسـان ، لأنها صلة الانسـان بخالقه ، قال تعالى : « **فاذا سويته ونفخت فيـه من روحى فقعوا له ساجدين** » . (الحجر : ٢٩)

ويمكن ان نلخص وسائل الاعداد الروحى فيما يأتى :

١ ـ ابراز قيمة الفضـائل وآثارها الفردية والاجتماعية ، واظهار

---

(٩) **احياء علوم الدين** ، جـ ٣ ، ص ٧٣

مساوىء الرذائل وآثارها أمام الطفل بقدر ما يتسع له فهمه .. وذلك بمراقبته وتعويده على الحياء والاحتشام ، وأن يحبب اليه الايثار ويحفظه عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية .

٢ ـ أن يكون الآباء أنفسهم مثلا صالحا لأبنائهم ، فان من عادة الأطفال أن يتشبهوا بآبائهم ويحاكوهم فى أقوالهم وأفعالهم . والقدوة الصالحة ما هى الا عرض مجسم للفضائل ، وان الطفل الذى يرى والديه يهتمان بأداء الشعائر والبعد عما يخل بتعاليم الدين من الرذائل ، لا بد وأن يتأثر تأثرا بالغا بما يراه ويشاهده من والديه . وفى هذا يقول الغزالى(١٠) : « فأوائل الأمور هى التى ينبغى أن تراعى ، فان الصبى بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا ، وانما أبواه يميلان به الى أحد الجانبين . قال ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة ، وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » . (متفق عليه)

٣ ـ تلقين الطفل مبادىء الدين ، وتدريبه على العبادات ، وتعويده ممارسة فعل الخير ، فان ذلك يجعل منه نواة صالحة لمجتمع سليم . ومهما بلغ سن التمييز ، فينبغى أن لا يسامح فى ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم فى بعض أيام رمضان ، ويجنب لبس الديباج والحرير والذهب ، ويعلم كل ما يحتاج اليه فى حدود الشرع . يقول الرسول الكريم ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر » . (رواه الترمذى)

٤ ـ على الآباء أن تكون معاملتهم لأولادهم قائمة على أساس الملاطفة وخفض الجناح . وقد كان النبى ﷺ يعلم أصحابه أن يعاملوا أولادهم بالرفق واللين ويضرب لهم المثل فيما يمارسه هو بنفسه . فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قبل رسول الله ﷺ الحسن بن على وعنده الأقرع بن حابس التيمى فقال : ان لى عشرة من الولد

---

(١٠) المرجع السابق ، ص ٧٤

ـ قبلت منهم أحدا . فنظر اليه رسول الله ﷺ ثم قال : « من لا يرحم لا يرحم » . (رواه البخارى وأبو داوود)

٥ ـ ومما هو ضرورى أن يحبب الآباء أبناءهم فى اختيار الأصدقاء الأخيار ومزاملة أصحاب الخلق الفاضل . فان الأطفال يحاكى بعضهم بعضا ويتشبه كل بالآخر . ويحفظ الصبى عن الصبيان عن مخالطة من يجرى لسانه بلغو الكلام وفحشه . ولننظر الى الصورة المثلى للتربية الحسنة كما يرويها القرآن الكريم فى حديث لقمان وهو يعظ ابنه ، اذ يقول :

● **« واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم » .** (لقمان : ١٣)

● **« يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ، ان الله لطيف خبير . يابنى اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور . ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ، ان أنكر الأصوات لصوت الحمير » .** (لقمان : ١٦ ـ ١٩)

ففى هذه الآيات الكريمة نرى تدرج الدعوة وأخذها بالأهم فالمهم فى خطوات أو مراحل متتابعة ومتكاملة لا انفصال بينها ..

* * *

ثانيا ـ التعاون كعملية اجتماعية :

يقصد بالتعاون أن يعمل اثنان أو أكثر سويا من أجل تحقيق هدف مشترك . فالتعاون من العمليات الأساسية فى الحياة الاجتماعية ، ذلك أن كل انسان فى المجتمع يتعاون مع الآخرين بصورة مباشرة أو غير مباشرة . فليس باستطاعة كل فرد أن يزرع ويحصد ويطحن القمح الذى يأكله فى شكل « خبز » يوميا ، وانما يتعاون كل فرد فى المجتمع بما يقوم به من عمل مع الآخرين لتيسير الحياة الاجتماعية

على نفسه وعلى الآخرين . والتعاون ضرورى حتى تمضى الحياة الاجتماعية فى مسارها السوى ، لمواجهة احتياجات الأفراد والجماعات ، ولزيادة الدخل القومى لرفاهية المجتمع ، وللحفاظ على سلامة المجتمع وأمنه .

وليست هناك دواع معقولة تحمل الناس على أن يعيشوا اشتاتا متنافرين ، بل ان الدواعى القائمة على المنطق الحق والعاطفة السليمة تعطف البشر بعضهم على البعض الآخر ، وتمهد لهم مجتمعا متكافلا يسوده المحبة والوئام والتعاون ، ويمتد به الأمان على ظهر الأرض . والله عز وجل رد أنساب الناس وأجناسهم الى أبوين اثنين ، ليجعل من هذه الرحم الماسة ملتقى تتشابك عنده الصلات وتستوثق . قال تعالى : « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير** » .
(الحجرات : ١٣)

فالتعارف ـ لا التنافر ـ أساس العلاقات بين البشر . وقد تطرأ عوائق تمنع هذا التعارف الواجب من المضى فى مجراه وامداد الحياة بآثاره الصالحة .. ففى زحام البشر على موارد الرزق ، وفى اختلافهم على فهم الحق وتحديد الخير ، قد يثور نزاع ، ويقع صدام . بيد أن هذه الأحداث السيئة لا ينبغى أن تنسى البشر الحكمة المنشودة من خلق الناس وتعمير الأرض بجهودهم المتناسقة . وكل رابطة توطد هذا التعارف وتزيح من طريقه العوائق فهى رابطة يجب العمل على تدعيمها والانتفاع بخصائصها .

وليس الاسلام مجرد رابطة تجمع بين عدد قل أو كثر من الناس فحسب ، ولكنه جملة الحقائق التى تقر الأوضاع الصحيحة بين الناس وربهم ، ثم بين الناس أجمعين . ومن ثم فأصحاب الاسلام وحملة رسالته يجب أن يستشعروا جلال العقيدة التى شرح الله بها صدورهم ، وجمع عليها أمرهم ، وأن يولوا التعارف عليها ما هو جدير به من عناية واعزاز .. انه تعارف يجدد ما درس من قرابة مشتركة بين الخلق ،

ويؤكد الأبوة المادية المنتهية الى آدم بأبوة روحية ترجع الى تعاليم الأديان الملخصة فى رسالة الاسلام . وبذلك يصير الدين الخالص أساس أخوة وثيقة العرى ، تؤلف بين اتباعه فى مشارق الأرض ومغاربها ، وتجعل منهم ـ على اختلاف الأمكنة والأزمنة ـ وحدة راسخة الدعامة قوية البناء ، لا تنال منها العواصف والأعاصير .. وهذه الأخوة هى روح الايمان الحى ، ولباب المشاعر الرقيقة التى يكنها المسلم لاخوانه ، حتى أنه ليحيا بهم ويحيا لهم ، فكأنهم أغصان انبثقت من دوحة واحدة ، أو روح واحد حل فى أجسام متعددة(١١) .

ولقد حارب الاسلام الأثرة الظالمة بالأخوة العادلة ، وأوضح لكل مسلم أن الحياة ليست له وحده ، وأنها لا تصلح به وحده ، فليعلم ان هناك أناسا مثله ، ان ذكر حقه عليهم ومصلحته عندهم فليذكر حقوقهم عليه ومصالحهم عنده . ومن حق أخيك عليك أن تكره مضرته ، وأن تبادر الى دفعها ، فان مسه ما يتأذى منه شاركته الألم ، وأحسست معه بالحزن . ومن علائم الأخوة الكريمة ان تحب الخير والنفع لأخيك المسلم ، وأن تهش لوصوله اليه كما تبتهج بالنفع والخير يصل اليك . فاذا اجتهدت فى تحقيق هذا ، فقد تقربت الى الله بأزكى الطاعات وأجزلها مثوبة . وفى هذا يقول رسول الله ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .
(رواه البخارى)

والتالم الحق هو الذى يدفعك دفعا الى كشف ضوائق اخوانك ، فلا تهدأ حتى تزول غمتها وتدبر ظلمتها ، فاذا نجحت فى ذلك استنار وجهك واستراح ضميرك .

قال رسول الله ﷺ : « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه (أى يخذله) . من كان فى حاجة اخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج

---

(١١) محمد الغزالى ، مرجع سابق ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦

عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » . (متفق عليه)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة . وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .
(رواه مسلم)

ومن حق الأخوة أن يشعر المسلم بأن اخوانه ظهير له فى السراء والضراء ، وان قوته لا تتحرك وحدها ، بل ان قوى المؤمنين تساندها وتشد ازرها . قال رسول الله ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » . (رواه البخارى)

ومن ثم كانت الأخوة الخالصة نعمة مضاعفة .. لا نعمة التجانس الروحى فحسب ، بل نعمة التعاون المادى كذلك . وقد كرر الله عز وجل هذه النعمة مرة ومرة فى آية واحدة ، فقال تعالى : **« .. واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ..»** (آل عمران : ١٠٣)

واخوة الدين تفرض التناصر بين المسلمين ، لا تناصر العصبيات العمياء ، بل تناصر المؤمنين المصلحين لاحقاق الحق وابطال الباطل ، وردع المعتدى واجارة المهضوم ، فلا يجوز ترك مسلم يكافح وحده فى معترك ، بل لا بد من الوقوف بجانبه على أى حال ، لارشاده ان ضل ، وحجزه ان تطاول ، والدفاع عنه ان هوجم .. فذلك معنى التناصر الذى فرضه الاسلام .

قال رسـول الله ﷺ :

ـ « انصر اخاك ظالمـا او مظلوما ، ان كان ظالمـا فاردده ، وان كان مظلوما فانصره » . (رواه البخارى)

ـ « المؤمن مرآة المؤمن . والمؤمن اخو المؤمن ، يكف عليـه ضيعته ويحوطه من ورائه » . (رواه ابو داوود)

ـ « من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازيا فى اهله (اى قام بما يحتاجون اليه) فقد غزا » . (متفق عليه)

ـ « ان لله عبادا اختصهم لحوائج الناس يفزع الناس اليهم فى حوائجهم ، اولئك الآمنون من عذاب الله » . (رواه الطبرانى)

ـ « يا ايها الناس : افشـوا السـلام واطعموا الطعـام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » .
(رواه الترمذى)

ـ « لا يقفن احدكم موقفا يضرب فيه رجل ظلما ، فان اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه » . (رواه الطبرانى)

ـ « ان لله عند اقوام نعما اقرها عنـدهم ما كانوا فى حـوائج المسـلمين ، ما لم يملوهم ، فاذا ملوهم نقلها الى غيرهم » .
(رواه الطبرانى)

* * *

ثالثا ـ التنافس كعملية اجتماعية :

يقصـد « بالتنافس Competition » تلك العملية الاجتماعية التى بواسطتها نجد شـخصين او اكثر او جماعتين او اكثر تجتهد فى الوصول الى هدف معا او اهداف معينة . والتنـافس قد يكون بناءا انشـائيا (Constructive) هو التنافس المفضل اجتماعيا ، وقد يكون التنافس هداما (Destructive) وهو التنافس الذى لا يقره المجتمع . ويخـذ التنـافس اشكالا عديدة .. فقد يكون ذهنيا عقليـا (Intellectual) مثل ما يحدث

بين الطلاب ، وقد يكون ترويحيا كما فى ممارسة الأنشطة الرياضية وسائر الأنشطة المتعلقة بشغل أوقات الفراغ ، وقد يكون التنافس فى مجال العمل بهدف الاستحواذ على النفوذ أو السلطة أو المركز أو لرفع الكفاية الانتاجية .

والشرط الأساسى للتنافس هو أن يتم بين اثنين من الأفراد أو الجماعات ، كل منهما يكافح من أجل تحقيق نفس الهدف ، أى هدف واحد ومتنافسين اثنين على الأقل ، وبالتالى فان الانسان لا يتنافس مع نفسه ، وان كان من الميسور أن يتفوق على نفسه . وقد يكون مثل هذا التنافس هداما أو بناءا .. فاذا كان هدف المتنافسين أن ينجح واحد أو أكثر على حساب الآخرين ورسوبهم ، فان التنافس هنا يصبح هداما . أما اذا كان هدف التنافس أن ينجح كل طالب بالمجموع الذى يتفق مع الجهد الذى يبذله فى الدراسة ، فان التنافس هنا يصبح انشائيا ايجابيا بناءا . ومن هنا يمكن القول بأن المتنافسين بصورة هدامة يحاول كل منهم القضاء على الآخرين بشتى الوسائل الشريفة وغير الشريفة ، استنادا الى ما جرى عليه العرف من أن « الغاية تبرر الوسيلة » ، بينما يستهدف التنافس البناء تحقيق المصلحة العامة للجماعة أو المجتمع ، مثل ما حدث فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ من تنافس أفراد القوات المسلحة على عبور القناة وتحرير سيناء من العدو الاسرائيلى .

والتنافس فى الاسلام عملية تنبثق عن « التعاون » فى العمل أو فى الدراسة أو فى اللعب . وهو عملية محببة الى النفس فى مختلف مجالات النشاط الاجتماعى سواء بين أفراد الأسرة ، أو بين ذوى القربى ، أو أهل الجيرة ، أو طلاب المدرسة أو المعهد أو الكلية ، أو بين الفرق الرياضية فى مختلف النوادى ، أو بين المتنافسين على عضوية مجالس الادارة ، أو مجلس الشعب وما اشبه ، طالما كان ذلك التنافس فى حدود الاعتدال . وكلما كان التنافس قائما على أسس أخلاقية مستمدة من الشريعة الاسلامية ، فهو تنافس ايجابى مطلوب لاطلاق القوى الكامنة لدى أفراد المجتمع ثم استثمارها فيما يفيد الناس .

وكان محمد رسول الانسانية ﷺ ينافس أصحابه فى سائر ألوان الشجاعة والبسالة والدفاع عن القوم ، وفى الكرم والجود .. فعن أنس ابن مالك قال : « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس ، وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس . فلقد فزع أهل المدينة ذات ليلة على صوت ، فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعا ، وكان قد سبقهم الى الصوت ، وهو على فرس لأبى طلحة ، وفى عنقه السيف ، وهو يقول : « لم تراعوا ، لم تراعوا » .

وقد حث الرسول الكريم المسلمين على التنافس فيما اشتهر فيه العرب من خصائص تتفق مع الاسلام .. مثل اكرام الضيف ، ورعاية الجار ، والنجدة والشهامة والفروسية باعتبارها من الصفات العربية الأصيلة التى كانت على لقاء مع مبادىء الاسلام الحنيف ، وكذلك حث الناس على التنافس فى عبادة الله عن طريق التعمق فى دراسة الدين واتباع أوامره واجتناب نواهيه حتى تنتشر العقيدة الاسلامية . ذلك أن انتشارها يحتاج الى أفراد أقوياء فى حجتهم ، يملكون ناصية البيان ، قادرون على المناقشة والاقناع . ولم يكن عند مبعث خاتم النبيين أمة أقوى جنانا وأفصح لسانا ، وأقدر على المناقشة والجدل من العرب ، الذين هيأتهم حياة الصحراء للصبر على المجاهدة والقدرة على المجالدة ، ممن عرفوا بحضور البديهة وصفاء القريحة ، فاختارهم الله سبحانه دعاة لدينه ، وجعل من ديارهم مهبطا لوحيه الذى أوحى به الى صفوة خلقه وخاتم أنبيائه .

والذى يستعرض أسماء الدعاة فى فجر قيام المجتمع الاسلامى يجد من بينهم أو على قمتهم أبو بكر ، عمر ، عثمان ، على ، عائشة ، طلحة ، الزبير ، معاوية ، حمزة ، خالد ، عمرو ، أبو عبيدة ، وغيرهم ممن أثنى الله عليهم فى قوله تعالى : « **محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه**

يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » ٠ (الفتح : ٢٩)

فلقد كان التنافس على أشده بين هؤلاء فى التعبد وفى الدعوة لدين الله وفى الدفاع عن تلك الدعوة ومن اعتنقوها وفى طلب المغفرة من الله ٠

ولقد سرى التنافس الاسلامى بهذه الصورة فى نفوس أصحاب رسول الله ﷺ ومن سار على نهجهم ، حيث كانوا يسعون الى التخفيف عن كاهل مواطنيهم ٠٠ فهذا أمير المؤمنين ـ عمر بن الخطاب ـ مثلا حيا للتواضع والتعاون والرحمة ، حين حمل الدقيق على كاهله ليطعم أولئك الصغار الذين كانوا يتضورون جوعا على مشارف المدينة ، وحين راح ينضج لهم الطعام بنفسه ، وينفخ فى النار فيتخلل دخانها لحيته ، وأم الصغار ـ لا تعلم أن ذلك العطوف الرحيم هو أمير المؤمنين عمر ـ حيث قالت له : « أو ما كان عمر أولى منك بهذا الذى تصنع » ؟ ٠٠ ولم يكن عمر وحده هو المتواضع المتعاون فى هذه الأمة الاسلامية ، فكم بين بناة هذه الأمة ومشيديها من تواضع وتعاون وتنافس ٠٠ وهكذا كانت المنافسة بين أصحاب رسول الله ﷺ فى اعطاء القدوة الحسنة فى التواضع والتعاون لخدمة المجتمع الاسلامى ٠

ومن صور التنافس فى الاسلام تلك المتعلقة بالعمل المنتج النافع التى كان الرسول الكريم يحرص على تربية المسلمين عليها ، حيث كان يحث الناس على العمل ويبغضهم فى التواكل ٠ فقد قال عليه الصلاة والسلام :

ـ « لا يقبل ايمان بلا **عمل ولا عمل بلا ايمان** » ٠
(رواه الطبرانى)

ـ « ان الله يحب العبد المحترف ، ومن كد على عياله كان كالمجاهد فى سبيل الله » ٠ (رواه أحمد)

ـ « ما اكل احد طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده ، وان نبى الله داوود كان يأكل من عمل يده » . (رواه البخارى)

ـ « من أمسى كالا من عمل يديه أمسى مغفورا له » .
(رواه أحمد)

ـ « باكروا فى طلب الرزق والحوائج ، فان الغدو بركة ونجاح » .
(رواه الطبرانى)

ـ « خير الكسب كسب يدى عامل اذا نصح » . (رواه أحمد)

* * *

رابعا ـ التوافق / التكيف الاجتماعى (Social Adjustment) :

تميل الكائنات الحية الى تغيير نشاطها استجابة لما يحدث فى بيئتها من تغير .. فعندما يطرأ تغير على البيئة التى يعيش بها الكائن ، فانه يعمل على تعديل سلوكه وفقا لهذا التغير ويبحث عن وسائل جديدة لاشباع حاجاته . فاذا لم يجد اشباعا لهذه الحاجات فى بيئته فهو اما أن يعمل على تعديلها أو يعمل على تعديل حاجاته ، وهذا النوع من السلوك يسمى « بالتكيف / التوافق » فالتكيف / التوافق يشير الى ان الأحداث النفسية تعمل على استبعاد حالات التوتر واعادة الفرد الى مستوى معين هو المستوى المناسب لحياته ، واذا لم يحدث تكيف على الاطلاق فان الكائن لا يستطيع الاستمرار فى الحياة أو البقاء .

واذا اشبعت جميع دوافع الانسان فى الحال اشباعا معقولا سهلا فلن تصبح هناك حاجة لعملية التكيف ، ولكن ذلك لا يحدث فى اغلب الأحوال ، فهناك عقبات معينة تحول دون الاشباع المباشر للدوافع .. فمثلا قد تستثار لدى الفرد دوافع للسيطرة والسيادة أو الشهرة والمكانة المرموقة ، وقد لا يستطيع اشباع هذه الدوافع وازالة التوتر الناجم عنها فى الحال ؛ وقد يكون سبب ذلك بعض العقبات الخارجية كالمنافسة التى يواجهها من اشخاص آخرين تحركهم نفس الدوافع ، أو قد يرجع ذلك الى عقبات أخرى داخلية ناتجة

عن نقص قـــدرات الفرد ذاته . ولكن من شـــأن الدافع القـوى متى استثير أن يجعل الفرد فى حالة نشـاط وحركة ، حتى تحدث استجابة تشـبع الدافع وتزيل التوتر . وهـذه الأفعال التى تظهر عنـدما يستثار الدافع وتنتهى عندما يشـبع هى التى تسـمى فى مجموعها بـ « عملية التكيف »(١٢) .

وهناك علامات أو مؤشرات يمكن أن تفيدنا فى الاستدلال على مدى توافق الأفراد ، وتتلخص هذه المؤشرات فيما يأتى(١٣) :

١ ـ مدى تقبل الفرد للحقائق المتعلقة بقدراته وامكاناته .

٢ ـ مدى اسـتمتاع الفرد بعلاقاته الاجتماعية .

٣ ـ مدى نجاح الفرد فى عمله ورضاه عنـــه ، أى الاشـــباع المهنى .

٤ ـ مدى كفاءة الفرد فى مواجهة مشكلات الحياة اليومية .

٥ ـ تنوع نشاط الفرد وشـموله .

٦ ـ اشـباع الفرد لحاجاته ودوافعه .

٧ ـ ثبات اتجاهات الفرد .

٨ ـ تصدى الفرد لمسـئولية افعاله وقراراته .

ومن أجل توفير التكيف الاجتماعى السـليم فى المجتمع الاسـلامى ، فان الرسـول الكريم ﷺ تناول بأحاديثه العقيدة والايمان الحق بالله ، كما تناول الضعف الانســانى وأمراض النفس ، والدعوة الى العلم ، والاقتصاد وقيمة المال ، واهمية العمل للكسب الحلال ، والحقوق والواجبات الاجتماعية ، والتماســك الاجتماعى ، والحرية ، والعدالة والعدل فى الحكم والقضـاء ، والعلاقة بين الأزواج وبين الآباء والأبناء ، والاخاء ، والتعاون والاتحاد ، وضبط النفس ، واصـلاح ذات البين .. تناول كل

---

(١٢) L. Shaffer, and E. Shoben, Jr., **The Psychology of Adjustment** (2 nd. ed). (Boston : Houghton - Mifflin, 1956) , p. 9.

(١٣) سيد عبد الحميد مرسى ، **الارشـاد النفسى والتوجيه التربوى والمهنى** . القاهرة : الخانجى ، ١٩٧٦ ، ص ٢٠ ـ ٢٤

هذه الأمور وغيرها بحيث تكون واضحة لكل افراد المجتمع ، وبصورة تجعل علاقاتهم ومعاملاتهم خالية من كل عناصر الخلاف ، حتى يتحقق التكيف الاجتماعى السليم بينهم .

ومن سمات التكيف الاجتماعى فى الرسالة المحمدية أن الرسول الكريم ذاته كان واحدا ممن بعث اليهم ، فالقرآن الكريم يقول : **« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم »** . (التوبة : ١٢٨)

ولذلك كانت رحمته بالمؤمنين جميعا ، وكان حرصه على خير قومه خلقا من أخلاقه ، حيث جمع الله فيه كل الفضائل ، فكان المثل الأعلى ، والأسوة الحسنة ، والقدرة الطيبة ، ولهذا أمر الله سبحانه باتباعه فى كل ما يصدر عنه من قول أو فعل ، بقوله تعالى : **« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »** . (الأحزاب : ٢١)

ولقد قام المجتمع الاسلامى على أساس الحرية الدينية ، أى حرية العقيدة ، والحرية من أهم عوامل التكيف الاجتماعى ، وفى هذا يقول القرآن الكريم : **« وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .. »** . (الكهف : ٢٩)

ودعوة الاسلام الى الحرية لم تكن دعوة نظرية ، وانما كانت دعوة تطبيقية عملية ، حيث عايش الاسلام اليهودية والنصرانية ، وقد وصل هذا التعايش الى الذروة عندما أباح الاسلام للمسلم أن يتزوج بكتابية من غير دينه . فاذا علمنا أن الدين كان هو حياة كل البشر ، أدركنا ما وصل اليه الاسلام من احترام حرية الانسان ومعتقداته .. واذا كان حق الحياة والحرية والتكافل الاجتماعى هى من حقوق الانسان ، فان هذه الحقوق لا يمكن أن تصان الا من خلال حكم صالح . والحكم الصالح له أساس يقوم عليه ومنهاج يعمل من خلاله ..

اما الأساس فهو العدل ، واما المنهاج فهو الشورى . ويأمر الله تعالى سيدنا محمدا أن يشاور اصحابه ليكون قدوة فى ذلك ، فيقول له :

« .. **فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر** .. »

(آل عمران : ١٥٩)

ويضاعف من أهمية هذا التكليف وخطورته ، انه بعد غزوة « أحد » التى انهزم فيها المسلمون نتيجة مخالفتهم لرأى رسول الله ﷺ ، نزلت الآية الكريمة تطلب من الرسول ان يعفو عنهم ويستغفر لخطئهم ولا يكف عن استشارتهم . وانه لا يكتفى بجعل التشاور منهاجا للحكم فقط ، بل انه ليفرضه على الفرد العادى مع أسرته فى بعض الظروف ، فقال تعالى : « .. **فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما** .. » . (البقرة : ٢٣٣)

فالأسرة التى تقوم حياتها على التشاور تكون حياتها الاجتماعية أكثر تكيفا ، والعكس صحيح .

ولما كان التكيف الاجتماعى من عوامل التقارب والتماسك بين الناس فى المجتمع ، فقد كان ﷺ حريصا فى اجاباته وأحاديثه على تأكيد العوامل التى تؤدى الى التكيف الاجتماعى ، وخاصة التمسك بالأخلاق الكريمة بما يساعد على تدعيم مظاهر التكيف الاجتماعى السليم ، ومن الأحاديث النبوية الكريمة فى هذا الشأن :

ـ « تبسمك فى وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وارشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة ، واماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وافراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة ، وبصرك للرجل الردىء البصر لك صدقة » . (رواه البخارى)

ـ « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيرا ، أو ليصمت » .
(متفق عليه)

ـ « من لا يرحم من فى الأرض لا يرحمه من فى السماء » .
(رواه الطبرانى)

ـ « ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذىء » .
(رواه الترمذى)

ـ «ان الرفق لا يكون فى شىء الا زانه ، ولا ينزع من شىء الا شانه» .
(رواه مسلم)

* * *

خامسا ـ عملية الاتصال (Communication Process) :

يمكن القول ان « الاتصال لا يتحقق الا من خلال عملية اجتماعية ، وهذه العملية الاجتماعية هى « التفاعل » ، ولا يتحقق هذا التفاعل الا فى مجتمع ، بمعنى ان « الاتصال » هو نتاج التفاعل بين الفرد والمجتمع . وعلى ذلك يصبح « الاتصال » من العمليات الاجتماعية المستمرة ، ذلك ان الفرد يعيش طوال يومه ـ بل طوال عمره ـ فى اتصالات لا تنتهى من أجل اشباع حاجاته المتعددة .

وخلاصة القول ان « الاتصال » يمكن اعتباره عملية اجتماعية ، كما يمكن اعتباره ظاهرة اجتماعية . وسواء نظرنا اليه كعملية اجتماعية أو كظاهرة اجتماعية ، فانه من الضرورى أن ندرك بصفة أساسية أن كل ظاهرة اجتماعية عبارة عن نتاج تفاعل الأفراد أو الجماعات . بمعنى أنه عندما يكون المجتمع فى شكل جماعة من الناس فى تفاعل مستمر كل مع الآخر ، فانه يتضح من ذلك أن « التفاعل » من المفاهيم الأساسية الهامة فى المجتمع(١٤) .

وترتيبا على ذلك ، فان الاتصال ـ كمصطلح أو مفهوم ـ يشير الى العلاقة التى تقوم بين الناس فى اطار نسق اجتماعى معين يختلف من حيث الحجم ومن حيث نوع النشاط السائد فيه .. بمعنى أن هذا

---

(١٤) زيدان عبد الباقى ، **وسائل واساليب الاتصال فى المجالات الاجتماعية والتربوية والادارية والاعلامية** (ط ٢) . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٦ ، ص ١١ ـ ١٢

النسق قد يكون مجرد علاقة ثنائية نمطية بين شخصين (اخصائى اجتماعى .. ومبحوث ، محرر .. وقارىء ، مذيع .. ومستمع) أو بين جماعة صغيرة ومجتمع محلى ، ويمكن ان يكون على المستوى القومى أو الدولى . ولكى تعبر تلك العلاقة عن مفهوم الاتصال ، فمن الضرورى ان تنقل داخل تلك العلاقات بعض الخبرات أو المعلومات .. الخ .

ويمكن القول بأن الاتصال هو عملية المشاركة فى المعرفة ونقلها ، فقد يشاركك الشخص فى بعض المعلومات أو الأفكار أو المشاعر . وتتم المشاركة بين الناس الذين يستخدمون رموزا أو علامات معينة متفق عليها فيما بينهم ، وقد تكون هذه الرموز اشارات أو أرقام أو كلمات أو رسوم بيانية وما اشبه . وتعتبر اللغة التى نتحدث بها من اهم الرموز المتفق عليها فى الاتصال . وبالاضافة الى اللغة ، فهناك العديد من الوسائل الأخرى التى ترمز الى الاتصال مثل : الأرقام ، والجداول ، والرسوم الهندسية ، ولغة الجسم (كالمصافحة والايماءات) ، وعلامات الطرق والمرور . وما اشبه .

ونذكر فيما يلى بعض امثلة المهارات التى يحتاج اليها المسئول عن الاتصال فى اتصالاته اليومية(١٥) :

١ ـ المهارة فى استخدام كلمات التخاطب ، وتشمل :

ـ التحديد الشفهى لحقائق الموقف بوضوح ودون غموض .
ـ تقديم المشورة والتوجيه للآخرين شفهيا ، بطريقة غير رسمية .
ـ المناقشة الهادئة الهادفة للمشكلات مع الآخرين .

٢ ـ المهارة فى تقديم المعلومات كتابيا ، وتشمل :

ـ اعداد مسودة بعناصر الموضوع .
ـ عرض الموضوع بطريقة منظمة متكاملة .

---

(١٥) P. Panton; **Communication Skills.** (London : Hutchinson, 1980) p. 15 — 16.

ـ عرض الرسوم التوضيحية والاحصاءات اللازمة المتعلقة بالموضوع بدقة .

٣ ـ المهارة فى استقبال المعلومات من مصادرها العديدة ، وتشمل :

ـ التعرف على الأجزاء المترابطة ذات الصلة الوثيقة من خلال المادة المكتوبة .

ـ قياس مدى دقة الأرقام والاحصاءات باستخدام الوسائل المعينة على ذلك .

ـ الاشارة بدقة الى المعلومات المقدمة وعرضها فى شكل جدول أو رسم بيانى .

ان « الاتصال الشفهى » يتطلب توافر بعض الشروط التى تجعل جو المنظمة يسمح بالاتصال الصاعد والهابط من خلال قيم ومبادىء وقنوات معينة . وهذه الشروط هى :

١ ـ تنمية جو ودى ومجال طيب يسمح بالتفكير والتخاطب دون أن يشعر الشخص بوجود معوقات تعترض طريقه اثناء الاتصال .

٢ ـ تبنى وتشجيع الجديد من الأفكار البناءة التى تستهدف رفع الكفاية الانتاجية وتحسين ظروف العمل والانجاز .

٣ ـ أن يكون هناك نسق من القيم والمبادىء والمعايير التى يعتنقها ويتمسك بها كل من الرئيس والمرؤوسين .

٤ ـ تكوين لجان عمل أو لجان استشارية تسمح بتبادل الفكر والرأى بين مختلف المستويات والخبرات فى المنظمة .

٥ ـ اتاحة الفرصة للعاملين كى يشترك كل منهم بالتعبير عن رايه فى طريقة انجاز العمل ، وتشجيع تقديم الآراء البناءة التى تؤدى الى رفع مستوى الانجاز وتحقيق الرضا والاشباع للعاملين .

٦ ـ تهيئة القنوات التى تسمح بتدفق محتويات الاتصال فيما بين فروع واقسام المنظمة والعاملين بها .

٧ ـ مراعاة استخدام الاجتماعات والمناقشة مع العاملين ، خاصة في حالة الشروع في تطوير بعض أساليب العمل أو تغييرها أو استحداث بعض الأساليب التكنولوجية ، وذلك للحصول على تأييد العاملين وتعديل اتجاهاتهم والتغلب على المقاومة لكل ما هو جديد أو مقاومة التغيير .

٨ ـ ينبغي أن تكون خطوط الاتصال قصيرة ما أمكن ومختصرة .. فمن أكبر عوامل ضعف الاتصال ضخامة الجهد الذي يبذل فيه ، وطول الوقت الذي يستغرقه ، وكثرة التحويلات التي تحد من دفعه . وهنا تبرز أهمية « تفويض السلطة / الصلاحية » حتى يمكن البت في كثير من الأمور ، وخاصة مشكلات العمل اليومية واتخاذ قرار بشأنها دون حاجة الى الاتصال المستمر بالادارة العليا بالمنظمة في كل أمر من الأمور .

٩ ـ من أدلة الاتصال الجيد أن يتضمن « المعلومات والفهم » ، فقد يستمع الشخص الى المرسل ولكنه لا يفهم ما يعنيه من رسالته . ان الاتصال الجيد لا يتم الا اذا ترادف الفهم مع استقبال المعلومات ، وهذا ما يعرف بـ « العمق والانسياب في الاتصال » .

١٠ ـ وأخيرا ينبغي أن تكون خطوط الاتصال وأدواته واضحة .. فمن أكبر عوامل التعطيل والاضطراب في العمل الا يعرف الموظف في اى اتجاه يتصرف او بمن يتصل ليساعده على حل مشكلته .. فقد تصدر نشرة مثلا ـ وهي احدى أدوات الاتصال ـ تحتوي على الكثير من المعلومات الغامضة التي يتعذر فهمها أو العامة الشائعة التي تحتمل أكثر من معنى بما يؤدي الى اساءة فهمها .

ولقد أشار القرآن الكريم الى السمع والبصر والفهم ، باعتبارها من أهم أدوات الاتصال ، ونشير الى بعض آياته في هذا المجال :

● **« والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون »** . (النحل : ٧٨)

● « وهو الذى انشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة ، قليلا ما تشكرون » . (المؤمنون : ٧٨)

● « وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير » . (الملك : ١٠)

● « ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا .. » (آل عمران : ١٩٣)

● « انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا ، واولئك هم المفلحون » . (النور : ٥١)

● « وانا لما سمعنا الهدى آمنا به .. » . (الجن : ١٣)

● « واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق .. » (المائدة : ٨٣)

● « .. ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون » . (الأعراف : ١٠٠)

● « فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا » . (الكهف : ١١)

ولقد اختص الله سبحانه وتعالى الانسان باذنين ولسانا واحدا ، حتى يسمع وينصت اكثر مما يتكلم ..

* * *

سادسا ـ الضبط الاجتماعى (Social Control) :

لا يزال موضوع « الضبط الاجتماعى » يعانى كثيرا من الخلط والغموض ، ويرجع ذلك بالدرجة الأولى الى اختلاف العلماء فى تحديدهم لمصطلح « الضبط الاجتماعى » ، وعدم اتفاقهم على تعريف واضح ومحدد له ، وكذلك الى عدم اتفاقهم على ميدان الضبط الاجتماعى وحدوده باعتباره « عملية اجتماعية » تنطوى على الكثير من المفاهيم التى تتدخل فى تحديد ابعاده ووظائفه بالنظر الى اسسه ومجالاته ،

على الرغم من ان الموضـوع نفســه ليس جديدا على الفكر الاجتماعى ٠

فلقد أشـار « ابن خلدون » الى ان الضبط الاجتماعى من الظواهر الملازمة للمجتمع ٠ أما وسـائل الضبط الاجتماعى التى تصلح بها الحياة الاجتماعية فواضحة فى رأيه ، وهى تمثل الدين والقـانون والآداب والعادات والتقاليـد والعرف والمثل العليـا ٠ وينظر ابن خلـدون الى الضبط الاجتماعى نظرة اجتماعية نفسية ، لأنه يرى أن الضبط لازم للحياة الاجتماعية ، وانه فى نفس الوقت ناجم عن خاصة طبيعية فى الانسان ، وأن فائدته المحافظة على المصلحة العامة للأفراد فى المجتمع ، وعلى مصلحة الحاكم فى استقامة حكمه(١٦) ٠

وقد أشـار « روس »(١٧) الى ان اهم وسـائل الضبط الاجتماعى هى « القانون » الذى يحتل مكان الصـدارة ، ويعتبر العنصر الأكثر اكتمالا للضبط واسـاسا لبناء النظـام ، ويطبق فى المجتمع الى جانب رسـائل الضبط الأخرى ٠ ويرى « روس » أن هناك بعض الوسـائل الأخرى مثل : المعتقدات والقيم والثقافة السـائدة فى المجتمعات ودرجة الاقناع والايحاءات والتهديدات ٠٠ الخ ٠

وقد عالج « كولى »(١٨) موضوع الضبط الاجتماعى بأن جعـل المجتمع مسـئولا عن عملياته الخاصة بالتنظيم والابداع ، وميز بين النزعة الفردية والجماعيـة ، فالفرد والمجتمع توأمان يمثلان اتجاهين من وحدة متكاملة غير قابلة للتفكك ٠ كما يرى أن الضبط الاجتماعى ينشىء القانون ، وأن مهمة الضبط الاجتماعى ليست قاصرة على حل الصراع بين الأفراد والجماعات وانما تشمل استقرار المجتمع واستمراره والمحافظة على قيمة التى تعمل على مساندة النظم القائمة فى المجتمع ٠

---

(١٦) سلوى على سليم ، **الاسـلام والضبط الاجتماعى** ٠ القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٨٥ ، ص ٧ ـ ٨

(١٧) A. Ross; **Social Control : A Survey of Foundation of Control** . (N. Y. : MacMillan, 1959), pp. 259 - 263.

(١٨) C. Cooly ; **Social Process.** (Ill. : Southern Illinois Univlrsity Press, 1966) pp. 263 - 264.

ومن المتعارف عليه أن لكل مجتمع من المجتمعات وسائل خاصة يتبعها كى يحقق عملية الضبط الاجتماعى · وتتوقف هذه الوسائل ـ الى حد كبير ـ على طبيعة المجتمع وظروفه ومدى تعقده أو بساطته ونوع الثقافة السائدة فيه(١٩) ·

ولا تقتصر أهمية الضبط الاجتماعى على المجتمع فحسب ، فهى ممتدة الى الأفراد ، لأن الضبط ضرورى للفرد ، حيث ان الطبيعة البشرية هى نتاج الضبط الاجتماعى ، فالانسان يولد بدون معرفة لأية قيم أو معايير ثابتة أو محددة فى الحياة ، فهو يعتمد على الجماعة التى تقوم بدورها بتلقينه أو تعليمه تلك القيم التى يقرها المجتمع · فالفرد يكتسب أنماطا سلوكية من خلال وجوده فى محيط ووسط اجتماعى منظم نسبيا ، وانه يشعر بالأمن كلما توافق مع معايير جماعته التى يعيش فيها وقيمها(٢٠) ·

وقد اكد كثير من الباحثين ان الضبط الاجتماعى ضرورى للانسان لما تتصف به طبيعة النفس البشرية من ميل الى الظلم والعدوان ·· وقد ضربوا امثلة لذلك بآدم ابو البشر ، الذى اشتهى ما حرم الله ، وعصى أمر ربه ، فكان جزاؤه الحرمان من النعيم والهبوط الى الأرض · وقابيل ابن آدم الذى اشتهى ما انعم الله به على اخيه هابيل فيحسده وينتقم منه بقتله ·· الى آخر ذلك من امثلة تدل على ان النفس البشرية امارة بالسوء · فلولا اكتساب الانسان لبعض الصفات الاجتماعية ، وخضوعه لنظام اجتماعى يحدد سلوكه وتصرفاته تجاه الآخرين والمجتمع ، ما تكونت المجتمعات واستمرت وبقيت(٢١) ·

وتعتبر الدولة هى الهيئة الرئيسية التى تمارس السلطة المطلقة فى كثير من الأنشطة ، فهى تمارس سيادتها فى كثير من مجالات السلوك · وفى مجال تطوير القوانين ، نجد ان الدولة هى التى تحدد التشريعات

---

(١٩) D. Hommand; **Cultural and Soial Anthropology.** (N. Y. MacMillan, 1964), p. 223.

(٢٠) سلوى على سليم ، **مرجع سابق** ، ص ١١

(٢١) حسن الساعاتى ، **علم الاجتماع القانونى** · القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٨ ، ص ٢٨ ـ ٣٠

والعقوبات لكل مخالفة ، وهى التى تنظم السلوك وتضع حدودا لما هو مسموح به وما هو مرفوض .. فهى هيئة للضبط الاجتماعى الرسمى المقصود فى الدولة الحديثة ، وتعتبر القوانين بمثابة الوسيلة الرئيسية فى ضبط سلوك الأشخاص ، وتعتبر ضرورة فى ظل المتغيرات الموجودة فى المجتمع .

واكد الباحثون أن دراسة الضبط الاجتماعى تستلزم أيضا دراسة علاقة سلوك أعضاء المجتمع بالثقافة السائدة ، وبالنظم الاجتماعية الضابطة ، لأن الثقافة تقوم بدور هام وفعال فى ضبط سلوك الأفراد .. فالمجتمع يحدد ما يجب على الأفراد الالتزام به من خلال قيمه وعاداته وتقاليده المتعارف عليها ، كما انه يحدد مجموعة الجزاءات التى توقع فى حالة الخروج عن هذه القيم . ولذلك فان النظم الاجتماعية المختلفة لها تأثيرها على سلوك الفرد .

* * *

● **الاسلام وضوابطه الاجتماعية :**

الإسلام يكفل سعادة الفرد والجماعة فى الدنيا والآخرة ، ولم يترك عنصرا من عناصر الخير والصلاح وعناصر الحياة الطيبة والسعادة الخالدة الا أمر به ، ولم يترك عنصرا من عناصر الشر والفساد والشقاء الا نهى عنه وحذر ونفر منه ، ذلك ان الاسلام بنى تنظيمه للعالم على الواقع (٢٢) .

ويعتبر الاسلام منهجا فى الحياة تتبعه كل جماعة أو يرتضيه كل مجتمع .. فهو يهذب النفوس الانسانية ، ويوجه الحياة وجهة الحق والخير ، كما انه ضرورة من ضرورات الانسانية الراشدة ، لا تغنى عنه فكرة عقلية ولا تنظيم وضعى ..

فقد حرص الاسلام على تقرير المساواة فى اكمل صورها ، وجعلها من العقائد الأساسية التى يجب ان يدين بها كل مسلم .. فقرر ان الناس

---

(٢٢) محمود شلتوت ، **من توجيهات الاسلام** . دار العلم ، ١٩٦٤ ، ص ٦٥ .

سواسية ، وليس هناك ثمة تفاضل فى انسانيتهم ، وانما يجرى التفاضل بينهم على أسس أعمالهم وكفاياتهم ، وما يقدمه كل منهم لربه ونفسه ومجتمعه والانسانية جمعاء .. ويقرر الاسلام أيضا أن يعامل الناس جميعا على قدم المساواة فى شئون المسئولية والجزاء ، وهى الحقوق المدنية كحق التعاقد والتملك ، بدون تفرقة بين غنى وفقير أو بين صعلوك وامير أو بين قريب وبعيد .. فالعدالة الاسلامية لها ميزان واحد يطبق على جميع الناس .

ومما لا شك فيه أن الاسلام هو خاتم الأديان والشرائع السماوية ، واعمها واشملها .. فهو يشتمل على كل ما يتصل بالدين والدنيا ، أو بمعنى آخر يتناول كل ما يتصل بالعقيدة والعبادة والمعاملات ، من أخلاق ، وتعامل مع النفس وتعامل مع الآخرين .. فالاسلام دين المعاملة .. دين الانسانية .. دين الواقع والعمل .. دين الوسطية والعدل .. ودين التشريع للفرد والأسرة والمجتمع .

ـ فبالنسبة للأخلاق :

نجد أن الاسلام قد وضع الفضائل التى يجب التحلى بها والتى تصور الانسانية الكاملة .. فالشريعة الاسلامية روضت النفوس على حب الخير ورغبتها فى التواضع ، وأرشدت الى آداب التزاور والمجالسة ، كما نفرت الناس من التكاسل ، وتناولت ما يدعو اليه الخلق القويم ، والتعامل مع افراد المجتمع ، وذلك على النحو التالى :

١ ـ لقد عنى الاسلام بأدب الحديث .. فالبعد عن اللغو من أركان الفلاح ، ودلائل الاكتمال ، وقد ذكره القرآن الكريم بين فريضتين من فرائض الاسلام ، هما الصلاة والزكاة : **« قد افلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون »** . (المؤمنون : ١ ـ ٤)

ومن الحديث النبوى الشريف :

ـ « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيرا ، أو ليصمت » .

(متفق عليه)

ـ « اكثر خطايا ابن آدم من لسانه » . (رواه الطبرانى والبيهقى)

٢ ـ والاسلام دين سمح يشجع على الحرية فى التفكير وابداء الرأى ، ويدعو الى تبادل المودة والتراحم بين البشر . والقرآن الكريم يحث على الصفح والعفو والاعراض عن الجاهلين . قال تعالى :

● « .. فاصفح الصفح الجميل » . (الحجر : ٨٥)

● « خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين » .
(الأعراف : ١٩٩)

● « .. وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ، والله غفور رحيم » . (النور : ٢٢)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » . (رواه البخارى)

ـ « من لا يرحم لا يرحم ، ومن لا يغفر لا يغفر له » .
(رواه أحمد)

ـ « لا تنزع الرحمة الا من شقى » . (رواه أبو داوود)

٣ ـ ومن الناس من لا يسكت عنه الغضب ، اذا مسه احد ارغى وازبد ولعن وطعن ، والاسلام برىء من كل هذه الخلال الكدرة .. فالمرء يجب أن يتنزه عن لعن غيره ولو اصابه الأذى الشديد . وعلى قدر ما يكظم المسلم غيظه ويملك قوله ، ويتجاوز الهفوات ، تكون منزلته عند الله . قال تعالى :

● « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » . (فصلت : ٣٤)

● « .. والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين » . (آل عمران : ١٣٤)

● « **والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون** » . (الشورى : ٣٧)

ومن الحديث النبوى الشريف :

ـ « ليس الشديد بالصرعة (أى الذى يغلب الناس ويصرعهم) ، انما الشـديد الذى يملك نفسه عند الغضب » . (متفق عليه)

ـ « ان الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله » . (متفق عليه)

ـ «ان الرفق لا يكون فى شىء الا زانه ، ولا ينزع من شىء الا شانه». (رواه مسلم)

٤ ـ لقد قرر الاسـلام مبدأ المساواة الانسانية ، ومبدأ العدل بين الجميع ، ثم ترك الباب مفتوحا للتفاضل بالجهد والعمل ، كما وضع فى الميزان قيما اخرى غير القيم الاقتصادية . قال تعالى فى كتابه العزيز :

● « **.. ان أكرمكم عند الله أتقاكم ..** » (الحجرات : ١٣)

● « **.. واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى** » .
(الأنعام : ١٥٢)

● « **ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون** » . (النحل : ٩٠)

ومن الحديث النبوى الشريف فى النهى عن الظلم :

ـ « **يقول الله عز وجل : وعزتى وجلالى لأنتقمن من الظالم فى عاجله وآجله . ولأنتقمن ممن رأى مظلوما فقدر أن ينصره فلم ينصره** » .
(رواه أحمد)

ـ « من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم انه ظالم فقد خرج من الاسـلام » . (رواه الطبرانى وأحمد)

ـ « **ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه** » . (رواه ابو داوود)

٥ ـ ان الاستمساك بالصدق فى كل شىء ، وتحريه فى كل قضية ، والالتجاء اليه فى كل حكم ، دعامة أساسية فى خلق المسلم وصبغة ثابتة فى سلوكه . والكذب رذيلة محضة تنبىء عن تغلغل الفساد فى نفس صاحبها ، وعن سلوك يؤدى الى الشر ويدفع الى الاثم . قال تعالى :

- « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** » .

(التوبة : ١١٩)

- « **ليجزى الله الصادقين بصدقهم ..** » .

(الأحزاب : ٢٤)

- « **ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ..** » .

(النساء : ٥٨)

ومن الأحاديث النبوية الشريفة :

ـ « يطبع المؤمن على الخلال كلها ، الا الخيانة والكذب » .

(رواه أحمد)

ـ « ويل للذى يحدث بالحديث ليضحك منه القوم فيكذب ، ويل له ، ويل له » .

(رواه الترمذى)

ـ « أد الأمانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك » .

(رواه أحمد وأبو داوود)

٦ ـ واذا أبرم المسلم عقدا فيجب أن يحترمه ، واذا أعطى عهدا فيجب ان يلتزمه . ومن الايمان أن يكون المرء عند كلمته ، فيعرف بين الناس بأن كلمته موثق غليظ لا خوف من نقضها . قال تعالى :

- « .. **وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون** » .

(الأنعام : ١٥٢)

- « .. **وأوفوا بالعهد ، ان العهد كان مسئولا** » .

(الاسراء : ٣٤)

● **« واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، ان الله يعلم ما تفعلون »** ·

(النحل : ٩١)

٧ ـ اذا استحكمت الأزمات وتعقدت ، وترادفت الضوائق ، فالصبر وحده هو الذى يشع النور للمسلم ليعصمه من التخبط ويهديه من القنوط · والصبر فضيلة يحتاج اليها المسلم فى دينه ودنياه ، ولا بد ان يبنى عليه آماله واعماله · قال تعالى :

● **« ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ·· »** ·

(محمد : ٣١)

● **« ·· وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور »** ·

(آل عمران : ١٨٦)

● **« والعصر · ان الانسان لفى خسر · الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »** · (سورة العصر)

● **« ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين · الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون · أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون »** · (البقرة : ١٥٥ ـ ١٥٧)

وقال عليه الصلاة والسلام : « الصبر ضياء » · (رواه مسلم)

٨ ـ والحياء علامة صادقة على طبيعة الانسان ، فهو يكشف عن قيمة ايمانه ومقدار ادبه · وعندما ترى الشخص يتحرج من فعل ما لا ينبغى ، أو ترى حمرة الخجل تصبغ وجهه اذا بدر منه ما لا يليق ، فاعلم انه حى الضمير ، طيب العنصر · وقد أوصى الاسلام بالحياء ، وجعل هذا الخلق السامى أبرز ما يتميز به المسلم من فضائل · قال رسول الله ﷺ :

ـ « ان لكل دين خلقا ، وخلق الاسلام الحياء » ·

(رواه مالك)

ـ « الحياء من الايمان والايمان فى الجنة ، والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار » . (رواه احمد)

ـ « ما كان الفحش فى شىء الا شانه ، وما كان الحياء فى شىء الا زانه » . (رواه الترمذى)

ـ « ان الله عز وجل اذا اراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء ، فاذا نزع منه الحياء لم تلقه الا مقيتا ممقتا (اى مبغضا) . فاذا لم تلقه الا ممقتا نزعت منه الأمانة . فاذا نزعت منه الأمانة لم تلقه الا خائنا مخونا ، نزعت منه الرحمة . فاذا نزعت منه الرحمة لم تلقه الا رجيما ملعنا . فاذا لم تلقه الا رجيما ملعنا نزعت منه ربقة (اى رباط) الاسلام » . (رواه ابن ماجه)

٩ ـ ليس هناك ما يدعو الناس كى يعيشوا أشتاتا متناكرين ، بل ان دواعى المنطق الحق والعاطفة السليمة أن يعطف البشر بعضهم على البعض الآخر ، وان تمهد لهم مجتمعا متكافلا تسوده المحبة . قال تعالى :

● **« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير »** . (الحجرات : ١٣)

● **« .. واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ..»** . (آل عمران : ١٠٣)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ « ان الله يقول يوم القيامة : اين المتحابون بجلالى ؟ اليوم اظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى » . (رواه مسلم)

ـ « مثل المسلمين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

(رواه البخارى)

ـ « من استعاذ منكم بالله فأعيذوه ، ومن سأل بالله فاعطوه ،

ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع اليكم معروفا فكافئوه ، فان لم تجدوا ما تكافئوه به فادعوا له حتى تروا انكم قد كافأتموه » .

(رواه أحمد وأبو داوود والنسائى)

ـ « حق الجار عليك ان مرض عدته ، وان مات شيعته ، وان افتقر اقرضته ، وان أعوز سترته ، وان أصابه خير هنأته ، وان أصابته مصيبة عزيته ، ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح ، ولا تؤذيه بريح قدرك الا أن تغرف له منها » . (متفق عليه)

١٠ ـ وفى آداب الزيارة للبيوت ، يقول تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها** .. » .

(النور : ٢٧)

وفى آداب المجالس ، قوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم** .. » .

(المجادلة : ١١)

ـ وبالنسبة للأسرة وضوابطها الاجتماعية :

يحث الدين الاسلامى على الزواج لأنه يمثل نصف الدين ، ولهذا اهتمت الشريعة الاسلامية بالزواج باعتباره الدعامة الأساسية التى يقوم عليها بناء الأسرة . وقد تولى الشارع الحكيم رعايته بتفصيل قواعده وتحديد أحكامه منذ التفكير فيه ، ثم أحاطه بعنايته منذ قيامه حتى ينتهى بالموت أو بغيره ، ولم يتركه للناس يقيمون قواعده وأصوله ويضعون شرائعه وأحكامه ، ليكتسب بهذه الرعاية قدسية وحماية ، ويشعر الزوجان أنهما مرتبطان برباط مقدس يظله الدين فى كل خطوة من خطواته(٢٣) .

---

(٢٣) عبد الباسط محمد حسن ، **مكانة المرأة فى التشريع الاسلامى** . مركز دراسات المرأة والتنمية بجامعة الأزهر ـ الكتاب الأول ، يوليو ١٩٧٩ ، ص ١٨ .

وأصل الزواج فى الاسلام هو الزوجة الواحدة ، وهناك أدلة واضحة تحث على هذا الوضع . قال تعالى :

● « .. فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم الا تعدلوا فواحدة .. » . (النساء : ٣)

● « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم .. » .
(النساء : ١٢٩)

ويتبين لنا أن بوسع الانسان أن يتزوج بأكثر من واحدة بشرط أن يكون عادلا بينهن ، ولكن نظرا لاستحالة العدل فى مثل هذه الأمور فعليه بالاكتفاء بزوجة واحدة . ولكن هناك بعض الظروف الاضطرارية التى قد تدعو الشخص الى الزواج من أخرى نتيجة مرض الزوجة الأولى ، أو عدم الانجاب ، أو غير ذلك من الحالات .. وهنا لا يحرم الاسلام الزواج من أخرى ، كما تحرمه المسيحية ، وفى ذلك حرص الاسلام على أخلاقيات المسلم وصانها من الانحراف .

والاسلام يبغض الطلاق وينفر منه ، قال رسول الله ﷺ : « ابغض الحلال الى الله الطلاق » . (رواه أبو داوود وأحمد)

ويحث على علاقة زوجية دائمة يصورها القرآن الكريم فى صور رائعة ، حيث يقول سبحانه وتعالى :

● « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة .. » . (الروم : ٢١)

● « هن لباس لكم وانتم لباس لهن .. » . (البقرة : ١٨٧)

● « وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا واثما مبينا . وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا » .
(النساء : ٢٠ ـ ٢١)

ومن أجل هـذه العلاقة القوية استهجن الاسـلام الطلاق ، ونفر منه ، ورسم السـبل لحل الخلافات دون اللجوء اليه ما أمكن ذلك .. فالاسـلام يحيط عقـد الزواج بسـياج من القدسـية ، ويضفى عليـه من الجـلال ما يميزه عن سـائر العقود ، ويسمو به فوق ما يرتبط به الناس فى شـئون حياتهم من التزامات ، وينزله فى النفوس منزلة المهابة والاكبار .

وقد بغض الاسـلام الناس فى الطلاق ، وصوره فى ابشع صورة ، وحث المسـلمين على اتقائه ، باعتباره أبغض الحلال الى الله . ويقرر الاسـلام أنه لا يصح الالتجاء الى الطلاق لأسـباب يمكن علاجها أو لأمور يمكن أن تتغير فى المسـتقبل ، أو لا تحول بطبعها دون استمرار الحياة الزوجية على وجه ما .. ويأمر الاسـلام الزوجين عندما يحدث بينهما شـقاق أو نفور أن يعملا على ازالته باثارة الرحمة والوئام . وفى هـذا يقول سبحانه وتعالى : « وان امرأة خافت من بعلها نشـوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير .. » .

(النساء : ١٢٨)

ويوجب الاسـلام على الزوجين اذا لم يستطيعا ان يصلحا ما بينهما أو يحققا الوفاق بوسائلهما الخاصة ، أن يعرضا أمرهما على مجلس عائلى يتألف من حكمين ، حكم من أهل المرأة وحكم من أهل الرجل ليبحثا أسباب الخلاف ، ويعملا للقضـاء على مثيراته والتوفيق بين رغبات الزوجين ، حتى يحل الصـفاء والوئام محل النفور والخصـام ، لقوله تعـالى : « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ، ان الله كان عليما خبيرا » .

(النساء : ٣٥)

ورتب الاسـلام على الطلاق من الناحيتين المـادية والاجتماعية نتائج خطيرة والقى بسـببه على كاهل الزوج أعباء ثقيلة ، ومن شأن هـذه النتائج والأعباء أن تحمل الزوج على ضبط النفس وتدبر الأمر قبل الاقدام على الطلاق .. فقد قرر أنه يجب على الزوج اذا طلق زوجته ان يوفيها

مؤجل صداقها ويقوم بنفقتها من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ما دامت في فترة العدة ، وتكون حاضنة لأولادها الصغار هي أو قريباتها من بعدها حتى يكبروا ، ويقوم بنفقة الأولاد وأجور حضانتهم ورضاعهم ، حتى لو كانت الأم نفسها هي التي تقوم بذلك(٢٤) .

لقد وضع الاسلام كل هذه الضوابط والمبادىء لحماية الزوجة مما قد ينالها من اضرار بسبب وقوع الطلاق عليها ..

ـ اما بالنسبة للضوابط الدينية التي تصلح للمجتمعات والجماعات والأفراد ، فان الاسلام لم يغفلها ، لأن صلاح الفرد فيه صلاح المجتمع ..

ـ فالاسلام يدعو الى اكرام اليتيم ومراعاته ، وذلك في قوله تعالى :
« فاما اليتيم فلا تقهر . واما السائل فلا تنهر . واما بنعمة ربك فحدث » .
(الضحى : ٩ ـ ١١)

ـ وانه ينفر من الرشوة ، وينهى عنها في قوله تعالى : **« ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون »** .
(البقرة : ١٨٨)

ـ كما ان الاسلام يدعو الى البر بالوالدين وصلة الرحم ، قال تعالى :

- **« وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما »** .
(الاسراء : ٢٣)
- **« ووصينا الانسان بوالديه حسنا .. »** .
(العنكبوت : ٨)
- **« ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى .. »** .
(النحل : ٩٠)
- **« وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل .. »** .
(الاسراء : ٢٦)

---

(٢٤) **علي عبد الواحد وافي ، مرجع سابق** ، ص ١٢٢ ـ ١٢٧

● « فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الأرض وتقطعوا ارحامكم • اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم » •

(محمد : ٢٢ ـ ٢٣)

وهناك العديد من الآيات الضابطة التى لها تاثيرها الفعال على توجه الأفراد وارشادهم الى ما فيه خيرهم وخير مجتمعهم •• وقد حدد الاسلام احكاما وعقوبات للردع عن ارتكاب ما نهى عنه ، وقد شرعت العقوبات الشرعية رحمة من الله تعالى بعباده • والعقوبات منها ما هو مقدر كالحدود ، ومنها ما هو غير مقدر كالتعازير ، وتختلف مقاديرها باختلاف احوال الجرائم كبيرها وصغيرها وبحسب حال مرتكبها ••

« والحد » هو عقوبة مقررة حددها الشارع وهى خمسة : قطع اليد فى السرقة ، والرجم او الجلد مائة جلدة فى الزنا ، والجلد ثمانين جلدة فى شرب الخمر ، والجلد ثمانين جلدة فى القذف ، وحد قطع الطريق •• و « التعزير » يكون فى غير ذلك من الجرائم ، ويقع بالحبس او بالضرب او بغير ذلك ، ومتروك امره من حيث الكم والكيف للقاضى(٢٥) •

وتنبىء كل هذه المبادىء الاسلامية عن متانة البناء الاجتماعى وقوة اركانه وصلاحيته للرجوع اليه فى كل زمان ومكان ، بين جميع الناس • ولقد ازدهرت الأمة الاسلامية واستطاعت ان تؤسس حضارتها العظيمة طوال قرون عديدة ، طالما كان المسلمون يلجأون الى شريعتهم السمحة والى كتابهم الكريم وتوجيهات الرسول عليه افضل الصلاة والسلام •

* * *

---

(٢٥) احمد فتحى بهنسى ، العقوبة فى الفقه الاسلامى (ط ٣) • القاهرة : دار الكتاب العربى ، ١٩٧٧ ، ص ٩ ـ ١٠